بسم الله الرحمن الرحيم

جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

إعداد:خالد المغربي – فلسطين – القدس – المسجد الأقصى

www.al-msjd-alaqsa.com

تاريخ الطباعة: 16 جمادي الثانية 1429 هجري

تدبر القرآن الكريم وتفسيره – الحلقة السادسة

أمثلة على الظاهر والباطن في القرآن الكريم

- يقول عز وجل في سورة البقرة 2 – آية 17 (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ). الظاهر من قوله عز وجل (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ)، أن الله قد سحب النور الذي منحه للكفار، وتركهم في ظلمات حتى أنهم لم يعودوا قادرين على رؤية شيء، والسؤال الذي نطرحه على أنفسنا هو (هل يتراجع عز وجل عن عطائه لعبد من عباده؟)، (وهل هذا التراجع يليق بالرحمن الذي صفته الكرم)؟ دعونا نفهم باطن هذه الآية حتى يتسنى لنا معرفة المعنى الصحيح لها. في هذه الآية يضرب الله مثلا، والمقارنة فيه بين (الكفار المذكورين في الآية رقم 6 (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ))، وبين من استوقد ناراً أضاءت لهم الطريق، فما هو هذا الشيء الذي فعله هؤلاء (الكفار) وكان فيه الخير لدرجة الإضاءة، قلنا أن هؤلاء الكفار قالوا (بَلَى) عندما سألهم الله وأشهدهم على وحدانيته، كما جاء في قوله عز وجل (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا)، فمع أن هؤلاء الكفار لم

يكونوا صادقين وكذبوا على الله، كما أخبرنا عز وجل (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)، إلا أن مجرد تلفظهم بالشهادة بوحدانية الله كانت كافية ليدخلوا في رحمة الله ويصبحوا داخل دائرة النور الربانية وهذا معنى (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ)، ثم بعد أن هبط هؤلاء (الكفار) إلى الأرض، تراجعوا عن قولهم (لا إله إلا الله)، وأخذوا بالسير مبتعدين عنها، كمن بيده شعلة نار، تركها وسار متبعداً عنها، فأشركوا مع الله آله أخرى، وجعلوا له أندادا يحبونهم كحب الله، يقول عز وجل في سورة البقرة **2** – آية **165** (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)، وكلما إبتعدوا أكثر عن التوحيد، إبتعدوا أكثر عن مركز دائرة النور الرباني، حتى خرجوا من الدائرة كلها، وأصبحوا خارج دائرة النور، وهذا معنى قوله عز وجل (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ)، وبلا نور وفي الظلمة، لم يعد بإمكانهم أن يروا الحق، وهذا معنى قوله عز وجل (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ)، فليس الله من ذهب بنورهم، وليس الله من تركهم في الظلمات، ولكنهم تركوا النور الذي كان في كلمة التوحيد وإبتعدوا عنه حتى خرجوا من النور ودخلوا في الظلمات، فكلمة التوحيد (لا إله الا الله) هي النور، وبدونها لا يوجد نور، يقول عز وجل في سورة النور **24** – آية **35** (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، وقد جاء في حديث صححه الألباني قوله صلى الله عليهم وسلم (وآمركما ب (لا إله إلا الله)؛ فإن السموات والأرض وما فيهما لو وضعت في كفة، ووضعت (لا إله إلا الله) في الكفة الأخرى كانت أرجح منهما، ولو أن السموات والأرض وما فيهما كانت حلقة فوضعت (لا إله إلا الله) عليهما لقصمتهما، وآمركما ب (سبحان الله وبحمده)؛ فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق كل شيء)، ولا بد لنا أن نذكر أن الله نسب لنفسه أنه أخرجهم من النور وأدخلهم للظلمات، لأنه عز وجل

ولشدة رحمته لم يمنعهم من الخروج من دائرة النور مع أنه قادر على منعهم، وخروجهم لا يتم إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

- يقول عز وجل في سورة البقرة 2 – آية 18 (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)، واضح جداً أن الصمم والبكم والعمى في هذه الآية ليس حقيقي في الدنيا، وإنما تشبيهي، ولكن السؤال المهم، هو لماذا وصف الله الكافر بالأصم والأبكم والأعمى؟ لمعرفة الإجابة علينا أن نرجع للفرق بين الكافر والمؤمن من جديد، وسنجد أن الكافر إبتعد عن توحيد الله، في حين بقي المؤمن على هذا التوحيد، وبهذا فإن المعنى الباطن في قوله عز وجل (صُمٌّ)، أن الكافر عندما يسمع شيء ولا يدله هذا الذي سمعه على وحدانية الله وعظمته، فإنه كأنه أصم، بل هذا هو الصمم الفعلي، فليس الصمم عدم السمع، بل الصمم عدم الوصول من السمع لعظمة ذات الله، وكهذا يكون أيضاً معنى (بُكْمٌ)، فإذا أنت تكلمت بشيء ولم تتذكر عظمة الله ووحدانيته، ولم يتوافق ما قلته مع هذه العظمة، فإنك أبكم، لا معنى لكلامك، وهذا هو حال الكفار، يتكلمون وهم مشركين بعيدين عن التوحيد، وبنفس النسق يأتي معنى (عُمْيٌ)، فإن أنت رأيت صورة بعينيك، ولم تتفكر في كيفية وصول هذه الصورة لدماغك وكيفية تعامل فؤادك معها وكيفية إنتقالها لقلبك، ثم لم يصل قلبك من هذه الصورة لعظمة الله، فإن ما رأيته لم يفدك بشيء، وهذا هو العمى الحقيقي. أما قوله عز وجل (فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)، فهو تأكيد لما جاء في الآية 6 (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)، فهؤلاء الكفار كذبوا على الله، وليس أعلى من الكذب على الله من ذنب، فمن يكذب على الله لن يَصُدقْ رسل ولا ناس، لذلك قال عز وجل أنهم لن يؤمنوا، وقال عنهم أنهم لا يرجعون، أي لدائرة النور، وهذا من قبيل معرفة الله بالغيب وبذات الصدور.

- يقول عز وجل في سورة البقرة 2 – آية 23 (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)، يبدو للوهلة الأولى من قوله عز وجل (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)، أن الله يتحدى الكفار بأن يأتوا بسورة من مثل القرآن، والسؤال، هل يتحدى الخالق المخلوق؟ وهل ننتظر أن يفشل المخلوق في التحدي حتى يثبت قول الخالق؟ وكم مدة هذا التحدي؟ ولكن مما نعلمه يقيناً عن الله وعن ذات الله وأسماءه وصفاته، أنه عز وجل ليس كمثله شيء، يقول سبحانه وتعالى في سورة الشورى 42 – آية 11 (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)، فهو يتنزه عن الشبه بأي شيء سبحانه وتعالى، وهذا معنى التسبيح، فعندما نقول (سبحان الله)، فنحن ننزه الله عن التشبه بالمخلوقات، فالله هو كل شيء، وكل شيء عدا الله لا شيء، فالله هو الغني والمخلوقات جميعها فقيرة محتاجه له عز وجل، كل هذا يدلنا على أن الله لا يحتاج لأن يتحدى مخلوقاته، ولكن رحمته عز وجل تجعله سبحانه وتعالى يرشدنا إلى كل الطرق التي قد تخرجنا من الظلمات وتعيدنا إلى النور، وفي هذه الآية إحدى هذه الطرق، فعندما يقف الكافر عاجزاً أمام أيات القرآن الكريم، عليه أن يستدل من ضعفه هذا على قوة الله وعظمته سبحانه وتعال، فيعود من الكفر للإيمان، مستغفراً تائباً، والله غافر الذنب وقابل التوب، لذلك يتبع الله هذه الآية بقوله (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ).
- يقول عز وجل في سورة البقرة 2 – آية 26 (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)، قلنا في موقع سابق، أن الله عز وجل هو صاحب الهدى، فليس من المعقول أن يمنع صاحب الهدايةِ الهدايةَ عن عبادة، وأن يضلهم بدل أن يهديهم، ومن مجمل

الفهم للآيات التي تكلمنا عنها في سورة البقرة لغاية الآن، يتضح معنى الآية بأن الناس عندما ينظرون لهذا المثل الذي ضربه لنا عز وجل، فإن الكافر لن يستفيد منه بل بالعكس فإنه سيستخدم الكفر الذي ملء قلبه للتشكيك بالدين وبالله، في حين أن المؤمن بالله وبذات الله وبعظمته سبحانه وتعالى، عندما ينظر لهذا المثل، فإنه سيرى في كل زاوية من زواياه قدرة الله سبحانه وتعالى وعظمته وسعة علمه، وهذا سيزيد إيمانه وتعلقه به عز وجل، لننظر لخاتمة الآية (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)، ماذا نرى، سنجد أن الذي فسق عن أمر الله وكفر به سبحانه وتعالى هو الذي سيُدخل نفسه في الضلال ويخرجها من النور والهداية، ثم إنظر للآية التي تلي هذه الآية، حيث يقول عز وجل (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)، حيث إبتدأ بوصف هؤلاء الضالين الفاسقين عن أمر الله بقوله (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ)، وهذا يعيدنا من جديد إن أصل الفسق والضلال كان مع هؤلاء الكفار في السماء عندما أمرهم الله بتوحيده وقالوا (بلى) وكانوا كاذبين، وهذا هو العهد والميثاق الغليظ الذي أخذه عز وجل من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام. وفي الحديث الشريف الصحيح جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن الله جل وعز لما خلق آدم مسح ظهره فجرت من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ونزع ضلعا من أضلاعه فخلق منه حوى، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين قال ثم أقبس كل نسمة رجل من بني آدم بنوره في وجهه وجعل فيه البلوى الذي كتب أنه يبتليه بها في الدنيا من الأسقام ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك فإذا فيهم الأجذم والأبرص والأعمى وأنواع السقام فقال آدم لم فعلت هذا بذريتي قال كي يشكروا نعمتي يا آدم فقال آدم عليه الصلاة والسلام يا رب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نورا قال هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يا آدم

من ذريتك قال فمن هذا الذي أراه أظهرهم نورا قال هذا داود يكون في آخر الأمم قال يا رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب كم جعلت عمري قال كذا وكذا قال يا رب فزده من عمري أربعين سنة حتى يكون عمره مائة سنة قال أتفعل يا آدم قال نعم يا رب قال نكتب ونختم إنا إن كتبنا وختمنا لم نغير قال فافعل يا رب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء ملك الموت إلى آدم ليقبض روحه قال ماذا تريد يا ملك الموت قال أريد قبض روحك قال ماذا تريد يا ملك الموت قال أريد قبض روحك قال ألم يبق من أجلي أربعون سنة قال ألم تعطها ابنك داود قال لا قال فكان أبو هريرة يقول فنسي آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته قال محمد بن شعيب وأخبرني أبو الحفص عثمان بن أبي العاتكة أن عمر آدم كان ألف سنة)، ثم أنظر لقوله عز وجل (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) من صلة الأرحام والقرآبات وحقوق الله وحقوق العباد، وقوله سبحانه وتعالى (وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) كما قلنا في موقع سابق، أن الإفساد هو الإشراك مع الله إله آخر، ومن يفعل ذلك يخسر خسرانا عظيماً (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ).

www.al-msjd-alaqsa.com